الباب الخامس

تكنولوجيا مواجهة القمع

من التحديات التي تواجه حركة اللاعنف كيفية التصدي لقوات القمع بدون عنف، سواء كان قمع قوىٰ الأمن، أو مستخدمي العنف من البلطجية والمخربين الذين يروعون الناس.

ولأننا في أكاديمية التغيير نعمل علىٰ البحث عن وسائل تضاعف قدرات الإنسان وتقلل من احتياجه للعنف في الدفاع عن نفسه، كانت هذه الموضوعات المتعلقة بتطوير تكنولوجيا مواجهة القمع. أملاً أن تساهم في شحذ العقل لإبداع وسائل فعالة، تحول دون انجراره في مسار العنف الدامي.

وإن كان«**اللاعنف المطلق مستحيل**» حتىٰ يومنا هذا كما يقول غاندي،[1] فإن دورنا هو تقليص المساحات التي يُضطر المتظاهرون فيها لاستخدام العنف، حتىٰ تتمكن البشرية – مع تضافر الجهود– من إنضاج وسائل اللاعنف، إلىٰ أن يأتي اليوم الذي لا يجد العنف ثغرة ينفذ من خلالها للمقاومة.

ومن تكنولوجيا مقاومة العنف كل ما يتعلق بأشكال الحماية من دروع بأنواعها، ونظارات لحماية العين، ومتاريس تحمي من الرصاص. وقد ذكرنا بعضاً من هذه الأمور فيما سبق، كما تناولنا في كتاب «**الدروع الواقية من الخوف**» تفاصيل صناعة الدروع. ونزيد علىٰ هذه التكنولوجيا بعض الوسائل الأخرىٰ التي لم نتناولها **سابقاً وهي**:

* سحابة الردع.
* سلاح خيوط العنبكوت.
* درع المتاهة.

---

1 جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، حركة حقوق الناس (جمعية العمل الاجتماعي الثقافي)، 1999، بيروت، لبنان، ص66.

سحابة الردع

يواجه المقاومون الذين يخوضون حرب اللاعنف تحدي السماء المكشوفة، حيث تمطرهم قوىٰ القمع بقنابل الغاز والمولوتوف والأحجار (أحيانًا) وسيل المياه المتدفق من الخراطيم... وهو ما يدفعهم أحيانًا إلىٰ الرد بعنف، بالرغم من إعلانهم في البداية عن سلمية احتجاجهم.. لكنهم ومع سقوط الإصابات في صفوفهم يجدون أنفسهم مضطرين للرد، فهل توجد طريقة لحل مشكلة سماء المقاومة المكشوفة؟!

الآن نستعرض إحدىٰ التقنيات التي يمكن الاستفادة منها لتحصين سماء المقاومين، وتقليل مساحة التوتر واللجوء إلىٰ العنف من قبلهم.

الفكرة

عمل سحابة تظلل رؤوس المتظاهرين وتتحرك بحركتهم. هي درع سماوي متحرك يمنع سقوط أي نوع من المقذوفات السابق ذكرها علىٰ رؤوسهم.

مكونات السحابة

1 – مظلة مصنوعة من أي مادة تتحمل الأحجار وقنابل الغاز ويفضل أن تكون قابليتها للاشتعال منخفضة. يمكن استخدام صاج معدني، ثم تغطيته بالرمل أو أي مادة تمتص الارتطام وتقلل إمكانية الاشتعال. ولسهولة الحركة يفضل استخدام مواد خام خفيفة تتمتع بقدرتها علىٰ التحمل. وفي حالة أن الغرض هو صد الرصاص الحي يمكن زيادة كثافة الرمل، أو صب كتلة خرسانية علىٰ السقف.

2 – أعمدة لحمل المظلة، وتراعىٰ الأحمال بحسب طبيعة السقف.

3 – عجل يركب أسفل كل عمود لتحريك المظلة.

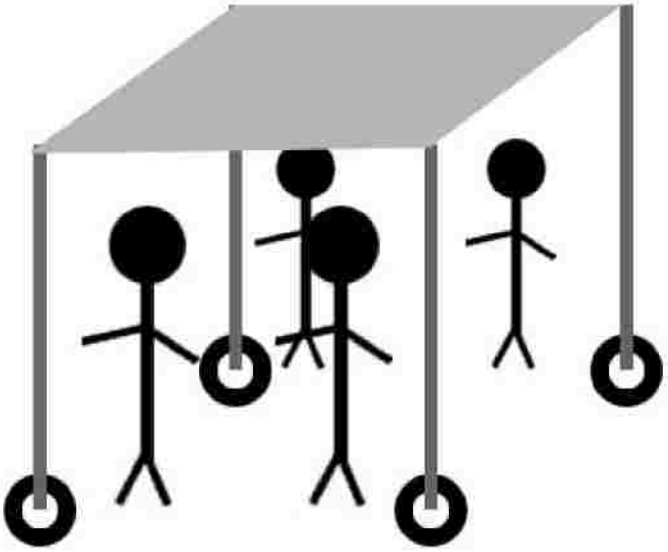

صورة 52: **رسم تبسيطي يوضح شكل المظلة التي تجرها عجلات وتكون قريباً من الرؤوس إلىٰ حد ما.**

4- في المقدمة المواجهة لخط القمع يمكن استخدام درع رأسي شفاف من زجاج مضاد أو بلاستيك له سمك كاف لصد طلقات البلي، يتم تغليفه بلوح معدني شبكي يتيح الرؤية، وهدف اللوح هو صد الضربات الموجهة في اتجاه أفقي مباشر. ويمكن استخدام حواجز معدنية مثل عربات القمامة.

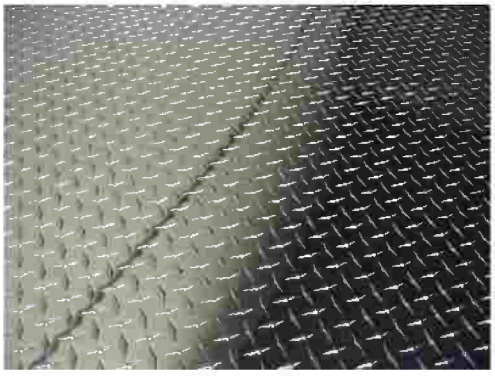

صورة 53: **اللوح المعدني الشبكي**

فوائد السحابة

1 – تصد عن المتظاهرين الكثير من المقذوفات وتحمي رؤوسهم.

2 – تمنع الشمس الحارقة والأمطار الغزيرة عن المتظاهرين.

3 – تمنع المتظاهرين من استخدام العنف لأنها تكون علىٰ مقربة من رؤوسهم، ولا تسمح لهم برمي الأحجار لأعلىٰ. فهي أقرب لاستراتيجية السلحفاة في مواجهة أي عدو.. الاحتماء في الدرع.

4 – تعطي هتافات المتظاهرين قوة وتزيدهم حماساً بسبب وجود المظلة وتأثيرها علىٰ قوة الصوت.

5 – يمكن الكتابة عليها من أعلىٰ ومن الأجناب والمقدمة وتوصيل رسالة للمجتمع ولمعسكر القمع.

6 – يمكن كذلك أن تتوفر وسائل حماية من خلال دروع جانبية عريضة، وبذلك يكون تم تحصين سقف المسيرة وأجنابها.

إرشادات

* تتميز المظلات الصغيرة بسهولة جرها، كما تتميز بسهولة الفك والتركيب. وإمكانية عمل إصلاحات باستبدال الفاسد فيها بآخر جديد. وعند استخدام مجموعات من المظلات الصغيرة يجب سد الفراغات البينية بشكل جيد، حتىٰ لا تتسبب في سقوط أي مقذوف علىٰ المتظاهرين.

* كما تفيد المظلات الصغيرة في أوقات الاشتباكات في إمكانية أن تتحرك بها مجموعات صغيرة لتصل إلىٰ أماكن معينة سواء في المواجهة، أو لتأمين انسحاب البعض، أو حمل المصابين.

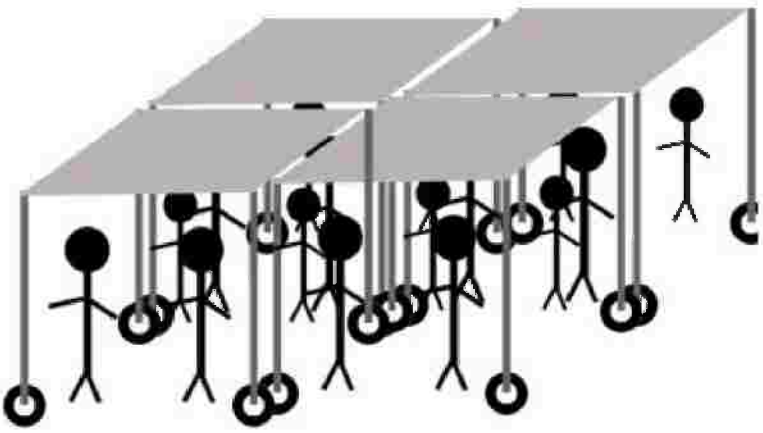

صورة 54: **مظلات توضع بشكل متجاورة**

* يمكن وضع أوعية ماء فوق كل مظلة، علىٰ أن يكون بها قدر قليل من الماء حتىٰ لا يسبب ثقل، ويمكن لذلك أن يساهم في إطفاء قنابل الغاز عند وقوعها داخلها.
* تعليق كاميرات في أركان المظلات الداخلية، وأخرىٰ فوق المظلة لتسجيل الأحداث.
* تثبت في أحد أركان كل مظلة مطفأة حريق يدوية، بحيث تستخدم في حالة اندلاع نيران، أو سقوط قنبلة غاز.
* تعليق لافتات داخلية تقلل من توتر المتظاهرين.
* تجنب تركيب إضاءات ليلية من خلال دوائر كهربية قد تسبب حريقاً، ويفضل استعمال كشافات تعمل بالبطاريات تعلق في زوايا المظلة.
* تكليف أفراد بمسئولية حركة وصيانة المظلة في حالة الرغبة في التقدم أو التأخر، أو علاج أي خراب نالها، ويرتدي هؤلاء الأفراد ملابس الحماية المتنوعة التي تغطي الرأس والعيون والجسم.

* عند بداية سقوط المقذوفات علىٰ السحابة يكون هناك تكتيك محدد لعدم توتير المحتجين، مثل الرد الجماعي بهتافات محددة، أو الغناء، ولا يُترك المحتجون فريسة الصمت والتفكير في رد فعل متهور.

وتهدف هذه التقنية إلىٰ حصار العنف قدر المستطاع، سواء كان هذا العنف من قوىٰ القمع أو يُتوقع أن يقوم به المتظاهرين. وهي خطوة علىٰ طريق تطوير المقاومة، وتقليل حاجتها إلىٰ الرد بشكل مباشر علىٰ عنف قوىٰ القمع، ويمكن للعقل المقاوم أن يبدع أشكالاً أخرىٰ، ويستخدم مواد أكثر فاعلية لصناعة «**سحابة الردع**».

كما يمكن لقوات مكافحة الشغب استخدام نفس التقنية لحماية جنودها ومركباتها، ومن ثم يرتقي مستوىٰ الصراع السياسي في المجتمع، ويدار بشكل أكثر تحضراً، توضع في أولوياته كرامة الإنسان، وحرمة الدم.

* * * *

درع المتاهة

يظل العقل الباحث عن السلوك الحضاري في عمل دؤوب للتخلص من الجهل، وتقليص مساحات العنف، سواء كانت من قبل قوات مكافحة الشغب، أو من قبل المحتجين، خاصة عندما تعلو قيمة الإنسان في المجتمع، فيصبح الاحتجاج فيه حقاً أصيلاً، واهتمام السلطات بالحفاظ علىٰ الأرواح البشرية في المقام الأول، ثم الممتلكات والنظام.

ويهتم العاملون في مجال تطوير تكنولوجيا سلمية علىٰ تقديم أجوبة عملية لحصار العنف، من هذه الأجوبة الفكرة المبتكرة عن دروع تفرقة مثيري العنف.

تقوم فكرة المصمم **Hsu Sean** علىٰ عمل دروع ذكية تفصل بين المتظاهرين وقوات مكافحة الشغب، وهي لا تفصل تماماً بين الطرفين، **ولكنها تعمل علىٰ:**

* تقليص دائرة العنف.
* تشتيت مثيري العنف، من خلال الحركة داخل وخارج متاهة الدروع.
* تقليل حدة التوتر والغضب، من خلال الحجز البصري بين المحتجين وقوات الشرطة.
* تقليص فرص الاشتباك بين المحتجين والشرطة. حيث يقل عدد من يخترقون الحاجز ويعبرون المتاهة دفعة واحدة.

صورة 55: رسم توضيحي لفكرة درع المتاهة يبين الحواجز التي تفصل بين الشرطة والمحتجين وتبين كيف يتمكن عدد قليل من الوصول للناحية الأخرىٰ في توقيت واحد، حيث يدخل الشخص من إحدىٰ البوابات الدوارة محاولاً الخروج العبور للناحية الثانية.

ويتكون «**نظام التشتيت**» من ثلاث وحدات، بحيث يمكن نقله وتركيبه بسهولة.

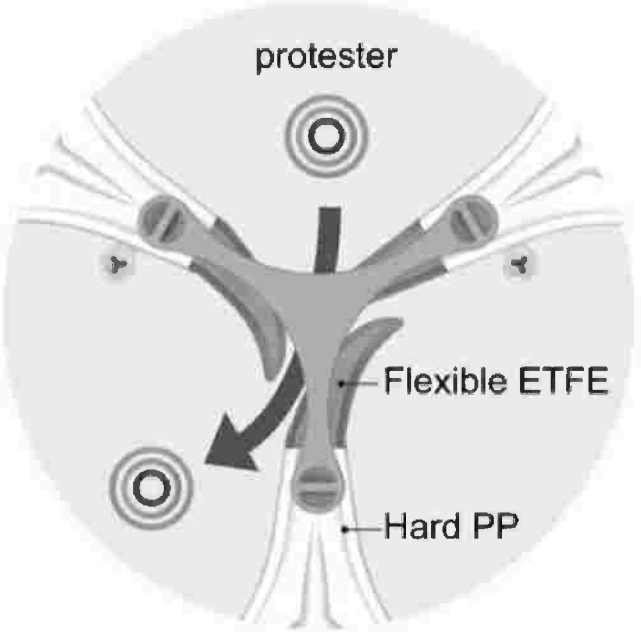

صورة 56: رسم يبين كيف يدخل مثير العنف في الباب الدوار

صورة 57: رسم يبين الباب الدوار

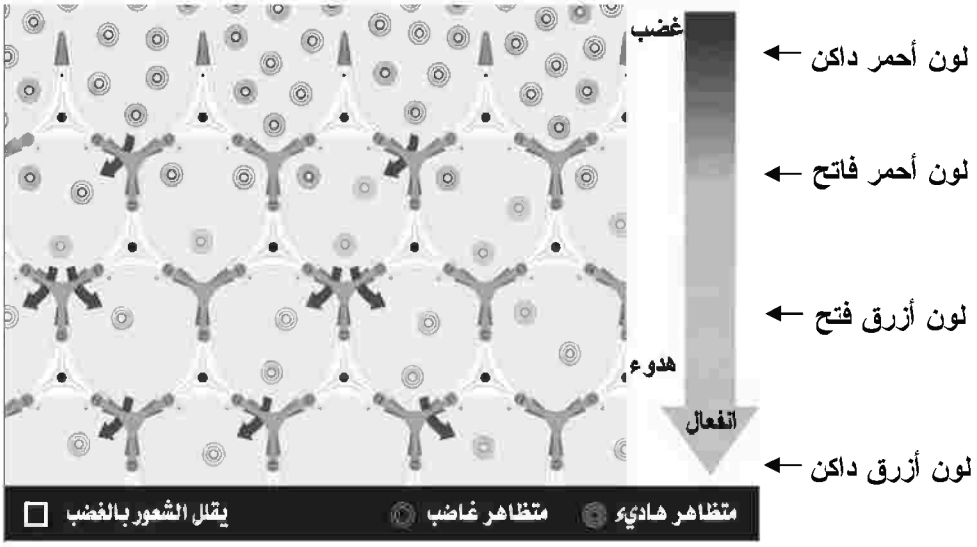

صورة 58: رسم توضيحي لكيفية امتصاص الغضب حيث يقل الانفعال الغاضب تدريجيًا عبر التنقل من باب لباب ونتيجة عدم رؤية وجه الطرف الأخر التي قد تستفز المحتجين.

كذلك يمكن الكتابة على الجدران الداخلية للممرات لتوجيه رسالة تخاطب عقل وعاطفة المتحرك داخل الممر، بحيث تقلل من توتره.

ملاحظات على الفكرة

وجهت الانتقادات للفكرة باعتبارها تزيد التوتر أكثر مما تقلله، وأن هذه الحواجز نفسها يمكن للمحتجين تسلقها ومن ثم الانتقال فوقها. وأياً كانت كفاءة هذا النظام، وأياً كانت أمنية مصممه وطموحاته، إلا أنه فكرة قد تعقبها أفكار في مجال تطوير تكنولوجيا سلمية يمكن استخدامها في الحالات التي يُراد فيها تقليل دائرة العنف، مثل مواجهة البلطجية، كما يستخدمها المتظاهرون السلميون ضد أجهزة قمع غاشمة، أو تستخدمها قوات الشرطة ضد مخربين يثيرون الشغب.[1]

❊ ❊ ❊ ❊

1 http://www.yankodesign.com/2012/01/24/riot-slower-downer/

سلاح خيوط العنكبوت

هذا السلاح يمنح المقاومة اللاعنيفة قدرات هجومية تواجه بها القمع، وتفتح بها ثغرات في السدود البشرية التي تشكلها قوات القمع التي تواجه المتظاهرين العزل. ويعتمد هذا السلاح على استخدام الشبكاك بأدوات ووسائل متعددة تمنحها قوة وقدرة تفوق الوصف، فقوة «**الخيوط**» يمكن أن تتفوق على قوة «**الحديد**». ويشتمل هذا السلاح على البندقية الشبكية والمدفع الشبكي، والفخ الشبكي، بالإضافة إلى شباك الصيد الحرة، التي تلقى يدوياً بتكتيكات استخداماتها المختلفة.

وظيفة خيوط العنكبوت

1 – عرقلة قوى البلطجة والتخريب.

2 – التقييد اللاعنيف لشخصيات محددة تثير الشغب أو تفرط في استخدام العنف.

3 – تمكين المتظاهرين من اختراق حاجز أمني.

4 – نزع السلاح من مستخدمي العنف سواء كانوا داخل المتظاهرين أو من المخربين والبلطجية.

5 – تكبيل وتقييد من يقومون بمهام مداهمة البيوت وترويع الآمنين.

6 – شل حركة الكلاب البوليسية والخيول التي تستخدم في مكافحة التظاهرات.

بندقية الشبكة Net Gun[1]

تستخدم بندقية الشبكة لصيد الحيوانات، حيث تفقدها القدرة على الحركة. كما تستخدمها شركات الأمن الخاص في بعض الدول، ويمكن استخدامها

1 شاهد الفيلم القصير "سلاح خيوط العنكبوت" من إنتاج أكاديمية التغيير ومعروض على موقعها.

كذلك لإرباك البلطجية والقبض علىٰ المخربين. ومن مزاياها أنها لا تسبب ألمـًا للكائن الذي تصوب نحوه، لكنها تعرقله وتمكنك من القبض عليه.

ويصل مدىٰ البندقية من 3 – 20 متراً، في مساحة 16 متراً مربعـًا في حالة حركة الهدف. ولا تتطلب البندقية ترخيصـًا، حيث تستخدم في الصيد والحراسة.[1]

ويفضل استخدام الشبكة التي قطر فتحاتها 6 بوصة، فهي الأنسب إن كان الهدف إنسانـًا أو حيوانـًا مثل الكلب البوليسي.[2]

صورة 59: البندقية الشبكية الصغيرة

أنواع واستخدامات الشباك

بندقية الشبكة الصغيرة: تستخدم في عرقلة شخص واحد فقط، على مسافة قريبة، وهي مناسبة في حالات:

1 – التصدي للبلطجية أو المخربين، والقبض عليهم.

2 – مداهمات المنازل من قبل المخربين.

3 – العناصر المثيرة للشغب والمندسة داخل المظاهرات بهدف تحويلها إلىٰ مسار عنيف، حيث يتم قنصهم بالشباك، وأخذ أسلحتهم وتكبيلهم.

---

1 http://net-gun.com
2 http://www.humanecapture.com/nets/

4- شل حركة الكلاب البوليسية والخيول المستخدمة في مكافحة التظاهرات.

وهذا يتطلب مجموعات مدربة بشكل جيد في الصفوف الأمامية وفي الأماكن الحيوية لمواجهة العنف.

صورة 60: **بندقية الشباك الصغيرة القادرة علىٰ تقييد حركة شخص واحد**

بندقية الشبكة المتوسطة: ويمكن بها عرقلة شخصين أو ثلاثة، وتستخدم أيضاً في التصدي للمخربين أو مداهمي البيوت.

صورة 61: بندقية الشباك المتوسطة القادرة علىٰ تقييد حركة شخصين.

بندقية الشبك الكبيرة: تستخدم للمسافات البعيدة، وبإمكانها عرقلة مجموعة كبيرة. ويمكن إيجاد صفوف من المدافع التي تطلق هذا النوع من الشباك، في حالة الرغبة في عرقلة أعداد ضخمة، مع مراعاة أن يكون هناك فارق حوالي عشر بين إطلاق كل شبكة، بحيث لا تتداخل الشباك، **وهذا النوع من البنادق أو المدافع يستخدم في حالات:**

1 – عرقلة مجموعات من البلطجية والمخربين.

2 – الحاجة إلىٰ خط حماية أول يتقدم التظاهرة او الاعتصام بمسافة ليحول دون تقدم المجموعات العنيفة المترجلة.

3 – الحاجة إلىٰ اختراق منطقة محاصرة بمجموعات مسلحة، حيث يتم عرقلتها بالشباك، ثم يتقدم المتظاهرون متخطين الحاجز.

وفي حالة ضرورة إحكام السيطرة يمكن إطلاق أكثر من شبكة علىٰ نفس المجموعة بحيث يتعذر عليها الخروج سريعاً من الشباك المتداخلة.

صورة 62: **مدفعية الشباك بعيدة المدىٰ ولقادرة علىٰ تقييد حركة مجموعة أفراد.**

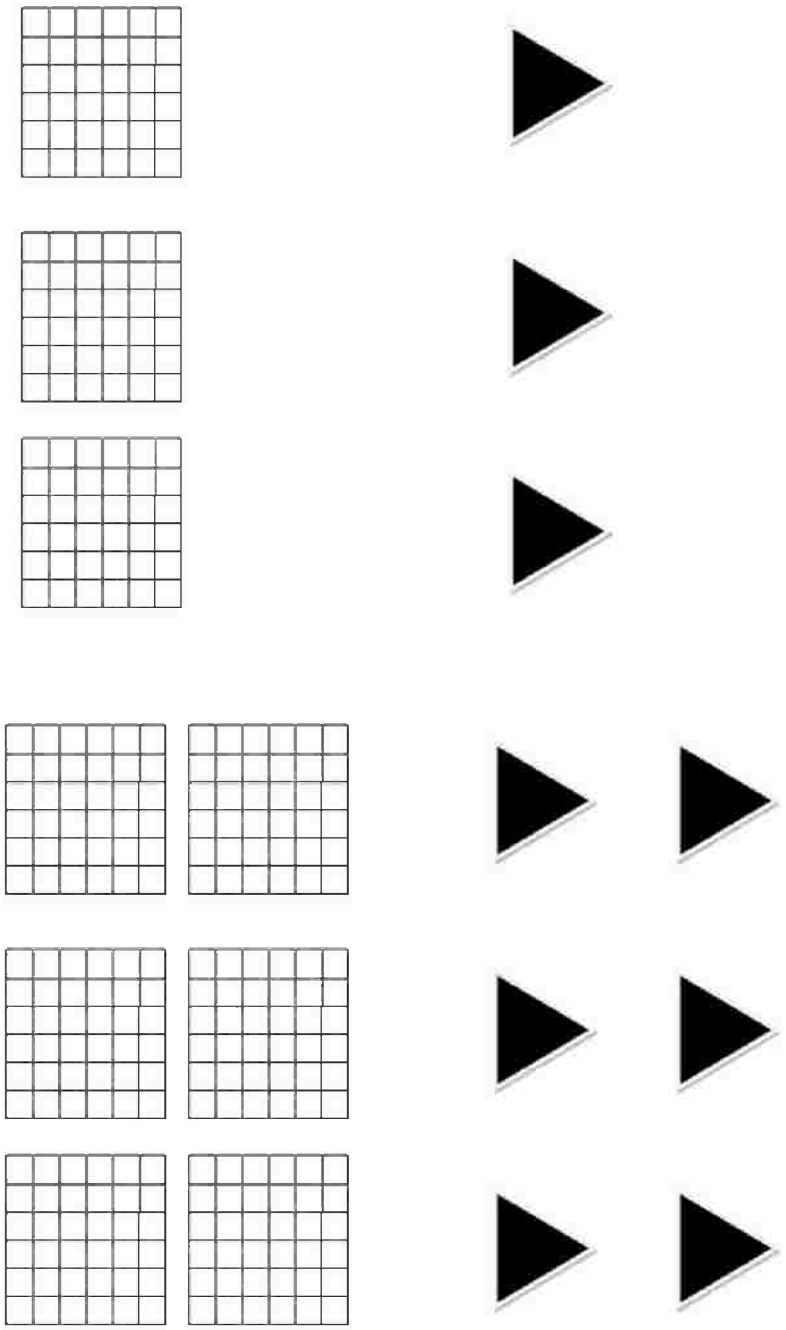

شكل 19 : رسم توضيحي لثلاثة مدافع (المثلث الأسود)على خط واحد تطلق ثلاث شباك

الفخ الشبكي: حيث تثبت الشباك في مكان عال، وتنزل الشبكة على مجموعة تمر تحتها، ويمكن صناعة الفخ بتعليق مجموعة من الشبكات على مسافات متباعدة. **ويستخدم في حالات:**

1 – نفس الحالات السابقة.

2 – الحاجة إلى أفخاخ في أماكن يتم جر قوى القمع إليها، (**تحت جسر – شارع ضيق**) فتستخدم كفخ.

3 – الحفاظ على مكان اعتصام مفتوح، حيث يتم تأمين المكان بتعليق الشباك في حبال وإطلاقها في حالى احتلال المكان من مجموعات مثيرة للشغب.

صورة 63: **رسم توضيحي لستة مدافع تطلق شباكًا كبيرة، وبذلك يمكن تغطية مساحة كبيرة من الأرض عبر تكتيك «مظلة الشباك».**

كيفية الحصول على بندقية الشبك

* من محلات بيع أدوات الصيد.
* تصنيعها منزليًا.

محاذير استعمال الشباك

* لا ينصح باستخدامها مع قوات نظامية في احتجاجات تقليدية. لأنها تضر المحتجين أكثر مما تنفعهم، وأحيانًا تكون استراتيجية «**اللاعنف المطلق**» أو «**اللاعنف المطلق مع الحماية**» أكثر فائدة.

* إن شعرت القوات القمعية بالخطر فيمكن لها اللجوء للأسلحة المميتة ودليل مكافحة الشغب يعطيها ذلك الحق (**انظر دليل قوات مكافحة الشغب في الملحق**). لذلك لا ينبغي أن يكون استخدام هذا السلاح ذريعة لاستخدام الأسلحة المميتة. ومن هنا كان عدم تفضيل استخدامه مع قوات نظامية.
* لا تستخدم إلا في مراحل الحسم في حالة قوات نظامية وبأغراض منطقية يمكن أن تحققها هذه التقنية وإلا تحولت إلىٰ وبال علىٰ مستخدميها، حيث تؤدي إلىٰ استثارة المزيد من غضب قوىٰ القمع. لذلك يمكن استخدامها فقط للعرقلة وليس لاعتقال عناصر من القوات.
* يمكن استخدامها مع مثيري العنف داخل المسيرات أو البلطجية.
* أحيانًا تكون الشباك الحرة بدون المدفع أكثر مرونة وأسهل في استخدامها خاصة مع مجموعات مدربة علىٰ تقنية رمي الشباك لاصطياد الأسماك.
* من المهم التدريب عليها قبل الاستخدام وتجربة مدىٰ فاعليتها والمدىٰ الزمني الذي يستمر فيه مفعولها (**بعد كم من الوقت يتمكن الشخص/ المجموعة من التخلص من القيد**)، وبالتالي يمكن تحديد غرض الاستخدام والتكتيكات الأنسب للتعامل معها.

* * * *

الروبوت
(رجل المهام الصعبة)

تستخدم الروبوتات في المهام الخطرة حفاظاً على حياة الإنسان، مثل إرسالها في بطن الأرض لأخذ عينات أو صور، أو في المجال النووي. ترى هل يمكن للروبوتات أن تساعد الإنسان أيضاً في مجال المقاومة، وتدفع عنه الأخطار لتفتديه بنفسها؟! هل تساعده في رفع راية العصيان؟! وهل يكون الروبوت رجل المهام الصعبة؟!

يؤذن العصر القادم بانتقال الروبوتات إلى عالم المقاومة، لتساند الإنسان، وتقوم نيابة عنه ببعض المهام الصعبة التي قد تتسبب في اعتقاله.

ومن أشكال هذه الروبوتات:

رسام الجرافيتي[1]: تجميع من ريموت كنترول سيارات الأطفال مرتبط بفرشاة، ورقاقة إلكترونية (**chip Technology**). هذا الروبوت بإمكانه رسم الشعارات مثلما تفعل الطابعات (**dot-matrix printer**).[2]

الربوت المزعج: فبدلاً من إطلاق الألعاب النارية الصوتية، يتم عمل لعبة صوتية يتم التحكم بها عن بعد، ويمكن استخدام صفارات الإنذار، وتأثير هذه الوسيلة أكبر في الأماكن المغلقة.[3]

روبوت توزيع المنشورات: يوزع المنشورات في المراكز التجارية والمطارات،[4]

روبوت التصوير: طائرات تحمل كاميرا لتصوير الاحتجاجات أو استطلاع بعض المناطق.

---

1 يمكنكم قراءة تفاصيل طريقة تصنيع الروبوت في صفحة أكاديمية التغيير على الإنترنت (www.aoc.fm) في القسم الخاص بكتاب "حرب الصدور العارية".

2 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p109

3 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p109.

4 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p109.

صورة 64: **طائرة مثبت فيها كاميرا للتصوير، وقد استخدم المحتجون في اعتصام رابعة العدوية في مصر عام 2013 طائرة إلكترونية لتصوير الاعتصام كرد علىٰ التعتيم الإعلامي.**

وتتطلب مثل هذه الأعمال:

* مهندسون متخصصون في الإلكترونيات.
* شراء المكونات اللازمة.

ويراعىٰ أن استخدام هذه التكنولوجيا أحياناً قد يتسبب في توقيف صاحبه مثل حالات التواجد عند منشآت عسكرية،[1] فحتىٰ لو تم الإمساك بالروبوت، واكتشفت الشرطة أنه لعبة، سيعتقلون من قام بهذا العمل وسيعامل كمقاوم عنيف وليس سلمياً.[2]

ولتفادي ذلك وتقليل نسبة الخطر، يشتري المهندس المكونات التي

---

1 تمكن المحتجون في اعتصام رابعة العدوية في القاهرة عام 2013، من إطلاق طائرة صغيرة قاموا بتثبيت كاميرا عليها للتصوير في محيط منشآت عسكرية، ما منع التوقيف آنذاك هو كثرة الحشود في المنطقة، فقد كانت تقريباً تحت سيطرة المحتجين.

2 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p111.

سيصنع منها الروبوت نقداً وليس عبر بطاقة إلكترونية، كما يرتدي قفازات أثناء التصنيع، ويزيل الأرقام الكودية للمكونات إن كان ذلك ضرورياً.[1]

إن فتح المجال لمثل هذا النوع من التكنولوجيا سيمكن المقاومة اللاعنيفة من بناء قدراتها علىٰ القيام بمهام معقدة مع الحفاظ علىٰ العنصر البشري. وستساهم الروبوتات في سد الكثير من الثغرات التي تواجه المقاومة اللاعنيفة، وستكون عموداً فقرياً في معارك المقاومة القادمة، حين يعتصم المهندسون في معاملهم وورش العمل ليبدعوا تكنولوجيا متطورة، فهذا مكان اعتصامهم الفعال.

❊ ❊ ❊ ❊

1 Electronic Civil Disobedience (ECD), Printed Matter, NYC, 1994, p112.

الخاتمة

ليست قوىٰ المقاومة هي التي تعاني كما يتبين من الوهلة الأولىٰ عند رؤية مشاهد الاعتقالات وإطلاق الرصاص والقنابل. فقوىٰ المقاومة تعرف أنها هي من تملك ناصية المعركة وزمام المبادرة، وأن لديها فضاءً متسعاً من الخيارات، وأنها هي من تُلجئ قوىٰ القمع إلىٰ خانات ضيقة وتقلل من خياراتها .فالمقاومة بصمودها تفرض إيقاع حركة القوىٰ الأمنية .

فبينما تظل قوىٰ الأمن ساهرة، تذهب قوىٰ المقاومة للنوم سعيدة ببلائها. وبينما لا تعرف قوىٰ الأمن من أين سيأتيها سيل الجماهير، تدرك قوىٰ المقاومة متىٰ سينهمر طوفانها المتدفق. وبينما تكبر قوىٰ المقاومة في عيون الناس كل يوم، تصغر قوىٰ الأمن في عيون أنفسها.

إن قوىٰ المقاومة تعمل بمنهج التجربة والخطأ، حيث لن يضرها خطأ تكتيكي طالما التزمت استراتيجياً بمنهج اللاعنف، أما قوىٰ القمع فكل خطأ منها يشعل فتيل المقاومة ويزيد الأنصار. إن قوىٰ المقاومة فخورة بنفسها كونها تعمل من أجل قضية عادلة، بينما قوىٰ الأمن خجولة من هيئتها علىٰ شاشات التلفزة ووسائل الإعلام.

سيُقهر الطغيان ما استطاع المقاومون إبداع مسارات فعالة، هذه المسارات التي ينبغي أن تنسجم تماماً مع ما يدعون إليه من عدالة واحترام للكرامة الإنسانية. فهزيمة الطغيان ليست مرهونةً باندحار أهله، ولكن بالانتصار علىٰ منطقه والقيم الخبيثة التي يتحرك من خلالها وتتجسد في مساراته ووسائله. فالطغيان لا ينتصر حين يقتل المحتجين الذاهبين إلىٰ الموت بصدور عارية، ولكنه ينتصر حين يفرض لغته في ساحة المعارك، ويحدد الإيقاع، ويختار لون الدم في وسائله لتفقد الإنسانية معناها. لكن حرب اللاعنف تأبىٰ ذلك، وتنتزع الإنسانية من بين فكيّ الطغيان.

إن حرب اللاعنف تشن حرباً مزدوجة، فهي تخوض حرباً بأهداف سياسية واجتماعية محددة مثل دحر الديكتاتوريات والتأسيس لتداول السلطة، ولكنها من ناحية أخرىٰ تخوض حرباً قيمية تؤكد فيها أن المستقبل لن يتأسس بفكر الأعداء، وأن المفاصلة ليست فقط علىٰ مستوىٰ الأهداف بل المنهج والمسار، وكل يوم يمر فيه المقامون علىٰ هذا المسار الصافي، ينحت في عقولهم وقلوبهم معان جديدة، فيتأسس داخلهم المجتمع الذي يرنون إليه، ذلك المجتمع الذي تنتصر فيه قوة العقل والإرادة علىٰ قوة المدفع والدبابة.

إن حرب اللاعنف ليست مجرد وسيلة أو تقنية، يمكن إلقاؤها أرضاً والبحث عن غيرها، ولكن مسار اللاعنف هو السبيل لتحقيق الغاية (**بناء مجتمع مدني قوي**)، وهناك فرق بين بذل الجهد في تطوير المسار واكتشاف ثغراته ومعالجتها، وبين اعتباره مجرد جسر يوصل إلىٰ الهدف، نتركه مع أول إخفاق لنبحث عن جسر آخر يقوم علىٰ قيم وفلسفة من نحاربهم، وكأننا ونحن نقاومهم نعترف بانتصارهم في المعركة القيمية، فقيمهم فعالة أكثر عند الحاجة، بينما قيمنا لا تسعفنا!!

والحالة التي يمكن فيها طرح هذا المسار أرضاً أن يولد فكر جديد للتغيير، ينافسه في احترام القيم الإنسانية ويغزل منها منهجاً واضحاً بعيداً عن الشعارات.

لقد اجتهدنا في هذا الكتاب أن نجيب علىٰ السؤال الذي يشغل الكثيرين، والذي يراه البعض ثغرة كبيرة في فكر حرب اللاعنف، وهو: كيف يتم التعامل مع القمع؟

حاولنا أن يكون الطرح عملياً بدرجة كبيرة، وكذلك واقعياً يبتعد عن الرومانسية التي تتوقع أن يلقي الخصم سلاحه أمام شباب يقدمون له الزهور،

فلكم شاهدنا حول العالم مدافع الديكتاتوريات تحصد زهرة الشباب في المجتمعات في ثوان معدودة.

إن جزءاً من نجاح حرب اللاعنف أن تجبر السلطة علىٰ أن تعتمد نفس لغتها، فتقاوم الاعتصامات والإضرابات بنفس منطقها وليس بمنطق العنف، لينتصر تمدين الصراع السياسي علىٰ عسكرته، وينتقل المجتمع كله خطوات للأمام نحو احترام حرية وكرامة الإنسان. حينها سيتطور هذا الأسلوب علىٰ صعيد السلطة والمجتمع معاً، وهو ما يعني أن المجتمع والسلطة قد اتفقا علىٰ نمط جديد لإدارة الصراع.. نمط مدني بامتياز لا يعرف للقوة العسكرية سبيلاً.

وفي ختام الكتاب نؤكد أن حرب اللاعنف تحتاج المزيد من الجهد النظري في مجال التأمين ومواجهة القمع، وتتطلب في تخصصاتها من يعكفون علىٰ دراسة هذا الملف فقط، ليبدعوا استراتيجيات وتكتيكات فعالة، وعلىٰ الناحية التطبيقية تتطلب تكنولوجيا تحاصر العنف ولا تشعله.

وإن كان المقاومون يضطرون أحياناً للعنف بنسبة 10٪، حين يواجهون قوىٰ غاشمة، وينفد صبرهم علىٰ التحمل؛ فإن هذا التخصص سيبدع لتتقلص مساحة العنف تدريجياً ويتحقق حلم «**حرب اللاعنف**»، في الوصول إلىٰ المسار السلمي الخالص، بل وفي فرض لغتها علىٰ السلطة لتتعامل بأساليب مشابهة.

* * * *